

لماذا علينا أن نتذكر؟ لماذا من المهم على فرد، شعب، أمة أن يتذكرون؟ فيمَ يسمح التعرف على الماضي في استشراف المستقبل؟ فيمَ يُسيء غياب الذاكرة لكل من الفرد والأمة؟ على هدي هذه التساؤلات، غاص أعضاء مؤسسة "ذاكرات من أجل المستقبل" في ذكرى دير تومليلين واللقاءات الدولية التي احتضنها.

إنها ذكرى لازالت سليمة سلامة جدران الدير الحجرية.. ذكرى مفعمة بالحياة كأهالي المناطق المجاورة الذين اعتادوا لعب الكرة الحديدية بسلام مساءً عند الدير.. ذكرى مشرقة كنظرات كافة رواده، ولمجرد ذكر اسمه. ذاكرة نابضة بالحياة، تنتظر بسلام أن تُستكشف، قرده يلعبون بمخاريط الصنوبر خلال همسات الريح على أشجار الأرز بمعية صوت منبع الأحجار البيضاء التي أطلقت اسمها على المكان.

كان ذلك لأكثر من ستين عاما.. كان البارحة، واليوم كذلك.

تاريخ دير تومليلين هو تاريخ مئات النساء والرجال الذين تواجدوا بالمغرب في زمن معين من تاريخهم الخاص بتاريخ بلدهم، التقوا بالمرج الكبير في قلب دير مبارك، مقابل منظر وادي خلاب.

قبل ستين سنة من الآن، ثمة في المغرب ملك عظيم، المغفور له محمد الخامس الذي حاز تألقا سياسيا وصوفيا، فالعاهل الذي طبعه بشكل عميق إيمان حي وروحاني، كان مقتنعا بالتقارب بين الأديان السماوية، الإخاء النابض والمنفتح على البشر والمؤمنين. وكرجل دولة – بذكاء شديد وصفاء ملحوظ – آمن بحتمية زوال الإستعمار من إفريقيا، ومن ثم إرساء الجسور للحفاظ على الروابط بين الشعوب.

وبحسن نواياهم، شاطر رجال ونساء حدس جلالته.. فبمجرد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وإبان صخب الحركات الإستقلالية، كشف هؤلاء منذئذ بذور الحرب الباردة والصراعات القادمة والدامية بين الشعوب، حيث وحّدوا- بمعية بعضهم البعض- قواهم وطاقاتهم في المبادرات المتعددة من أجل مكافحة الآلية المتصلبة للعبة القوى الكبرى. تومليلين هي حدث من ضمن الأحداث المندرجة في سياق

"اليوتوبيا" الإيجابية: خلق فضاء للحديث، التبادل، النقاش، التعارف، إحياء التعارف وبناء عالم أفضل معا.

على غرار ما سبق، ساهم الإهتزاز العالمي في إبراز مؤقت لنور تومليلين، إلا أنه - وخلال هذه الأوقات العصيبة- التي مرت بها البشرية، حيث الشعوب تعاني من عولمة بلا روح تستجدي قيما فاضلة، وجماعات تحاول حشدها عبر خطابات إقصاء الآخر، عادت روح تومليلين للظهور سليمة وحية في إفريقيا، باعثة من جديد رسالة السلام والانفتاح.

يعتبر هذا الإنجاز شهادة حية لما تم تحقيقه ولما يمكن أن يحدث، حيث يُرجى منه إشادة مدوية لعاهل مفعم بإيمان مشرق وحب الناس. إنه كذلك تكريم لرجال رب دأبوا باحترام وإخاء على أرض الإسلام، وأخيرا هو تكريم لنساء ورجال عظماء ملتزمين، موحدين في نفس القناعة الروحية والسياسية، والتي هي الإنسانية الواحدة والشاملة: المغفور له الملك الحسن الثاني وليا للعهد آنذاك، المغفور لها صاحبة السمو الملكي الأميرة للا عائشة، الشيخ بلعربي العلوي "شيخ الإسلام"، المونسينيور أميدي لوفيفبر، فاطمة حصار، لويس ماسينيون، إدريس محمدي، الأب زكريا عبد الله، أحمد بلافريج، وايضا إيمانويل لوفيناس، حاج عبد الرحمن بوريت، صاحبة السمو الملكي الأميرة جنفييف دو أورليان، هنريان دو شابوني، وآخرون...

ومن خلال هذا كله، ترحو مؤسسة "ذاكرات من اجل المستقبل" نشر هذه الذكرى الحية وهذه الرسالة الإخائية للأجيال المغربية الصاعدة في سبيل تذكيرهم انهم ورثة تاريخ لامع يرتكز على الإنفتاح على الآخر.

دير تومليلين، دير مسيحي على أرض الإسلام، شكل موقعا استثنائيا لندوات سياسية، اجتماعية، لاهوتية على الصعيد العالمي.. وإمعانا في تذكير الأجيال الصاعدة بوجود هذه البقعة وكذا اللقاءات الدولية التي أقيمت بها، لا يتوقف الأمر عند نقل الماضي، بل يتعدى ذلك إلى نشر دروس هذا الماضي: عكس الخطابات المتشددة التي تناشد المجابهة العصبية بين الشعوب، المعتقدات والثقافات، تتضمن ذاكرة

تومليلين الحلقة المضيفة للتقايد المغربي العريق المتمثل في الإنفتاح،
الحوار، المعرفة العملية للتعايش المشترك.

تُعدّ ذكرى تومليلين شهادة من المثال النابض للماضي الذي لا يزال حيا
عبر خلق فضاءات للحوار والمناظرات في كل ما يتعلق بشؤون المدينة والمواطن
بمدى كوني.